

مهن وحرف العلماء في المشرق الإسلامي وأثرها الاقتصادي والاجتماعي " عصر السلاجقة خلال القرنين 5-7هـ / 11-13م .

Professions and Crafts of Scholars in the Islamic East During the Seljuk Era (5th-7th Century AH / 11th-13th Century CE)

محمد غريب¹

¹ المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر)، mohamed.ghrieb@ensb.dz

(<https://orcid.org/0009-0007-4260-8929>)

تاريخ القبول: 2025/05/24

تاريخ الإستلام: 2025/04/19

ملخص:

أسهم العلماء بشكل كبير في تطوير الحياة الاقتصادية والنهوض بالدولة الإسلامية في مختلف عصورها، من خلال حثهم على العمل والكسب وذم البطالة ممارسين دورهم التنويري التربوي بوصفهم علماء ينشرون العلم ويصلحون المجتمع، واقتحموا المجالات الاقتصادية المختلفة بوصفهم تجارا ومزارعين وحرفيين، فأسهموا في تشجيع العمل ونبذ الكسل والبطالة من جهة، وأسهموا في تطور الاقتصاد الذي هو عامل رخاء وازدهار المجتمع من جهة أخرى. و نهدف من خلال دراستنا هذه إلى إمادة اللثام عن مهن وحرف العلماء في المشرق الإسلامي في عصر السلاجقة وتبيان أثرهم الاجتماعي في الحث على العمل والترغيب فيه، وتبيان أثرهم الاقتصادي كأصحاب مهن وحرف وصنائع يسهمون في اقتصاد الدولة وتطورها واقتداء الناس بهم.

الكلمات المفتاحية: مهن – علماء الإسلام - اقتصاد -- العمل- العصر السلجوقي.

Abstract:

Scholars have played a significant role in the development of economic life by encouraging work and earning a livelihood while condemning unemployment. . In doing so, they left no excuse for those who remained idle, neglected work, and became a burden on others. They believed that work contributes to economic growth, which is a key factor in the prosperity .

Through our study, we aim to highlight the role of scholars in driving the economy toward progress, thereby strengthening the state and increasing its prestige. We also conclude that scholars spared no effort in promoting work and participating in economic activities, which encouraged the general public to follow their example

Keywords: Professions – Islamic scholars – Economics – Work – Seljuk era

I. مقدمة

تمهيد:

دأب العلماء على إبراز قيمة العمل والكسب بالنسبة لرخاء الأمة، ولتلبية حاجيات ومتطلبات الفرد التي لا غنى له عنها مهما بلغت درجة تقواه وورعه وزهده وعزوفه عن الدنيا واتجاهه إلى الآخرة، وبينوا أن إهمال هذه الحاجات والمطالب قد يخل بالتوازن في حياة المسلم القائمة أصلاً على الموازنة بين الروح والمادة وبين الآخرة والدنيا، وأن إغفال هذه القيمة وإهمالها يعرض حياة الفرد والمجتمع إلى الاختلال والخطر.

من أجل ذلك حرص العلماء على تبيان أن تطوير المجتمع يتطلب تلبية حاجات الإنسان لاستمراره في الحياة، فشددوا على تلبية هذه الحاجات والمطالب للعلماء بوصفهم الضابط الذي يعيد التوازن المختل إلى حياة المجتمع من جهة، ولأنهم المعيار والقُدوة التي يقاس عليها سلوكهم وتنضبط بها حياتهم من جهة أخرى،

II. إشكالية الدراسة:

ما المهن التي مارسها العلماء في المشرق العربي في العصر السلجوقي؟ وما أثرها الاجتماعي والاقتصادي؟

III. فرضيات الدراسة:

- كان للعلماء في العصر السلجوقي دور فاعل في تعزيز ثقافة العمل والكسب.
- ساهم العلماء بشكل مباشر في الاقتصاد من خلال ممارسة أنشطة اقتصادية مختلفة.
- انعكست هذه الأنشطة إيجاباً على المجتمع، وأسهمت في استقرار الدولة وتطورها.

IV. هدف الدراسة:

يهدف بحثنا هذا إلى إبراز المهن والحرف التي مارسها العلماء - في المشرق الإسلامي في العصر السلجوقي خصوصاً - وإبراز أثرها في تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية من خلال حث الناس وتحفيزهم على العمل والكسب وانخراطهم في العمل الاقتصادي وتعدد وظائفهم الاقتصادية،

V. منهج الدراسة:

وقد اعتمدنا للإجابة على إشكالية الدراسة على المنهجين الوصفي التحليلي وكذا المنهج الإحصائي، باعتبار الوصف والتحليل هما الأنسب في عرض الأحداث والوقائع التي ميزت هذه الفترة وتحليل مواقف العلماء من العمل والكسب وكذا إسهاماتهم الاقتصادية وانعكاساتها على المجتمع والدولة، أما المنهج الإحصائي فأتوسل به إحصاء العلماء الذين مارسوا النشاط الاقتصادي وتقسيمهم إلى فئات حسب نوع النشاط.

أولاً: الإطار النظري والمفاهيمي:

1. أهمية العمل والكسب في الإسلام:

يُعد العمل في الإسلام من القيم الأساسية التي يركز عليها بناء الفرد والمجتمع، فقد حث القرآن الكريم والسنة النبوية على العمل والكسب، سواء للعلماء أو للناس كافة في كثير من الآيات والأحاديث النبوية، وهو لا يقتصر على الجانب المادي فقط، بل يشمل الجوانب الروحية والأخلاقية والاجتماعية.

و رَغِبَ الإسلام في العمل والكسب الحلال، واعتبره وسيلةً من وسائل العبادة والتقرب إلى الله، بل شرطاً لحفظ كرامة الإنسان واستقلاله. و وسيلة للاستعفاف عما في أيدي الناس، وسبيلاً لكفالة من يعول، واعتبر العمل ضرباً من الجهاد؛ فقد روى مسعر أن النبي ﷺ قال: "ما أنفقتم على أهليكم في غير إسراف ولا إقتار فهو في سبيل الله" (المبارك، د، ت)¹، وأن من قصر في ذلك آثم، فقال ﷺ " كفى بالمرء أن يضيع من يعول" (المغربي، 2003)² وقد أكد ذلك وسار عليه الصحابة

والتابعون. لهذا كله حث العلماء على العمل والكسب، وبينوا أن ذلك لا ينافي حقيقة الزهد ولا مقتضيات التقوى، بل يساعد على تحقيقها.

و من هذا المنطلق، أولى العلماء المسلمون، لا سيما في العصر السلجوقي، أهمية خاصة لقيمة العمل، وأبرزوا أثره في تنمية الأمة واستقرارها.

2. لمحة عن حياة العلماء المشرق الإسلامي عصر السلاجقة خلال القرنين 5-7هـ/11-13م

بدأ العلماء بأنفسهم قبل أن يدعوا أقرانهم وسائر الناس إلى العمل والكسب، حتى لا يخالفوا الناس إلى ما ينهون عنه من البطالة والاعتماد على غيرهم في معاشهم، والعفة عما في أيدي الناس، ثم بعد ذلك عززوا قيم العمل والكسب والعفة بعد أن أصبحوا قدوة للناس.

لقد كان غالبية العلماء الفقهاء منهم والقراء والمحدثين أصحاب مهن، كما تدل على ذلك ألقابهم كاليزاز، أو الدهان، النجار، العطار، السقاء، الجصاص، والقصاب، الصباغ، البناء، وغيرها من الأعمال من خلال اتصالهم بالناس في الأسواق.

فقد فضل بعض العلماء العمل عن طريق التجارة أو المهنة، ليحقق لنفسه اكتفاء من الناحية المادية، كما كان هناك عدد من العلماء فقراء يتلقون المساعدات من قبل الخلفاء والأعيان.

كما عاش بعض العلماء حياة ترف ورفاء، فتمتع بعضهم بدرجة من الثراء وكانوا إما من أصحاب مناصب، أو كان ثراؤهم نتيجة لعطاءات الخلفاء وتقربهم منهم، فقد كان عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعيد بن صدقة بن الخضر بن كليب الحراني أبو الفرج الحنبلي (ت 596هـ) من أعيان التجار ببغداد وأصحاب الثروة الواسعة، سافر كثيراً في طلب الكسب براً وبحراً، سمع الحديث وعمره ست سنين من عمه أبو عبد الله محمد بن سعد، ومن الشريف أبي طالب الحسين بن محمد بن علي الزيني، وكان من تلامذته أبو الفرج بن الجوزي وجماعة غيره، إلا أنه افتقر في آخر عمره واحتاج إلى أن يأخذ من طلاب الحديث الأغنياء، وكان لا يحدث بجزء ابن عرفه إلا بدينار (الذهبي، 2006)³.

3. دور علماء عصر السلاجقة في تعزيز قيمة العمل من خلال دروسهم ومؤلفاتهم وأرائهم:

أدرك علماء العصر السلجوقي (الأثير، د، ت)⁴ ضرورة تحسيس أفراد المجتمع بقيمة العمل والكسب باعتبارهم الضابط الذي يعيد التوازن المختل إلى حياة المجتمع ولأنهم المعيار والقدوة التي يقاس الناس عليها سلوكهم وتنضبط بها حياتهم وشددوا على تلبية الحاجات والمطالب للعلماء أنفسهم حتى يتسنى لهم القيام بدورهم في المجتمع على أكمل وجه، وذلك امتثالاً لأوامر الله تعالى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي تحث على العمل والكسب سواء للعلماء أو الناس كافة، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "فينبغي للعالم والعابد أن يتحركا في معاش، ليس في الدنيا عيش إلا لعالم أو زاهد بلى، قد يقع في صفاء حالهما كدر، وهو أن العالم يشتغل بالعلم، أو بالانقطاع عن الكسب، وقد تكون له عائلة؛ فربما تعرض بالسلطان ففسد حاله، وكذلك الزاهد، فينبغي للعالم والعابد أن يتحركا في معاش، كنسخ بأجرة، أو عمل الخواص إن فتح له بشيء، اقتنع باليسير؛ فلا يستعبده أحد، كما كان أحمد بن حنبل له أجرة لعلها لا تبلغ ديناراً يتقوت بها، ومتى لم يقنع، أفسدت مخالطة السلاطين والعوام دينه (الجوزي، 2004)⁵.

ويشير ابن الجوزي في موضع آخر إلى أن العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً، اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم (الجوزي، 2004)⁶، كما أشار إلى أن العمل يقطع الطمع في الخلق، فإن الطبع له حق يتقاضاه (الجوزي، 2004)⁷.

أما أبو حامد الغزالي فقد وضع باباً أسماه في فضل الكسب والحث عليه وقد استشهد بكثير من الآيات والأحاديث النبوية وما ورد من آثار عن الصحابة والتابعين في هذا الباب، وبين فضل الكسب والعمل في حياة أفراد المجتمع الإسلامي وحذر من مغبة السؤال والتسول، وختم كلامه بذكر الأمور التي يقوم عليها الكسب وهي: الصحة والعدل، والإحسان والشفقة على الدين (الغزالي، د، ت)⁸.

أما الماوردي (ت) فقد قال عن العمل والكسب ومشروعيته: "إن الله تعالى جعل لهم مع ما هداهم إليه وأرشدهم إليه من معاشهم ديناً يكون عليهم حكماً، وشرعاً يكون لهم قيماً، ليصلوا إلى موادهم بتقديره ويطلبوا أسباب مكاسبهم بتدبيره، حتى لا ينفردوا بإرادتهم فيتغالبوا وتستولي عليهم أهوائهم فيتقاطعوا.. (الماوردي، 1986)⁹"

وقد أكد الفقيه محمد بن أحمد السرخسي (ت 483هـ) شارح كتاب الكسب للفقيه محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ)، الذي أكد على وجوب الكسب في حياة المسلمين حينما أورد قول الفقهاء: "ثم إن مذهب جمهور الفقهاء رحمهم الله تعالى من أهل السنة والجماعة أن الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة"، وقال أيضاً وحجتنا في ذلك قوله تعالى: **مِنْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبْعَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَارِكِيهِ إِلَّا أَنْ تُعَمِّصُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ** (٣٧)، والأمر حقيقة للوجوب، ولا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب، وما لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به يكون فرضاً" (الشيباني، 1400)¹¹، أما الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) فقد بين ارتباط الكسب بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وبلغ حثه على إيجاد دافع الإنجاز مداه بتفضيله الكسب على التفرغ للعبادة الشعائرية لمنفعته المتعدية بقوله: التكسب في الدنيا وإن كان معدوداً من المباحات من وجه، فإنه من الواجبات من وجه، وذلك أنه لما لم يكن للإنسان الاستقلال بالعبادة، إلا بإزالة ضروريات حياته وإزالتها واجبة، لأن كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كوجوبه... (الأصفهاني، 2007)¹²، كما بلغ حثه على العمل والإنجاز مداه، بتفضيله الكسب لمنفعته المتعدية، من حيث التعفف عن الناس وسد حاجات الفرد والتعاون مع الآخرين في سد حاجاتهم ولصلة الإخوان، على التفرغ للعبادة (نقلي، 2001)¹³ يقول: "والكسب لا يقصد به التكاثر، وإنما يقصد به التوصل إلى طاعة الله تعالى من صلة الإخوان، وأن يستعفف عن وجوه الناس فهو أفضل، لما فيه من منفعة غيره ومنفعة نفسه، وهو أفضل من التفرغ إلى طلب العبادة من الصوم والصلاة والحج وتعلم العلم، لما فيه من المنافع للناس، وخير الناس انفعهم للناس" (نقلي، 2001)¹⁴، وفي نفس الوقت انتقد البطالين القادرين على العمل، وعد البطالة نوعاً من الظلم (نقلي، 2001)¹⁵.

ثانياً: المهن والحرف التي مارسها العلماء (أمثلة ونماذج):

سجل التاريخ ممارسة العلماء لعدة مهن وحرف في ميادين متعددة نذكر منها:

1. ممارسة العلماء للنشاط الزراعي:

شكلت الزراعة نشاط رئيساً لكثير من العلماء في العصر السلجوقي في العراق وما جاورها؛ نذكر منهم أربعة علماء على سبيل المثال لا الحصر:

أبا بكر عبيد الله بن إبراهيم بن أبي بكر التفتازاني النسائي: الذي كان إماماً فاضلاً مفتياً مفسراً محدثاً واعظاً مقرئاً، حسن السيرة مشغولاً بالعبادة والتهجد، وكان يتولى الحرث والحصاد والدياس بنفسه في أرضه، ويأكل من كد يده، على ذلك زجى عمره (السمعاني، 1996)¹⁶.

وكذلك، الإمام الحافظ الشريف المرتضى أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد بن علي العلوي (ت480هـ) فقد كان يملك قريباً من أربعين قرية خالصة له، وفي كل واحدة منها وكيل أمين من قبل رئيس سمرقند، وكان يوزع في العام نحو العشرة آلاف دينار، ويقول هذه زكاة مالي (الحنبلي، 1986)¹⁷، ومع استبعاد أن يكون قد شارك في جني المحاصيل الزراعية، وضبط مقادير الخراج والزكاة أيضاً، إلا أنه كان يشرف بنفسه على هذه القرى بالتنسيق مع وكيل رئيس سمرقند إشراف المهتم والحريص، مما يدل على اهتمامه بالزراعة ومكاسبها.

كما يخبرنا التاريخ عن أبي محمد الماهياني؛ وهو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن أحمد ابن حفص الماهياني المروزي (ت549هـ) من أهل قرية ماهيان (الحموي، 1993)¹⁸ الذي كان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب، ورعاً عفيفاً، مبالغاً في الاحتياط لا يأكل لأحد طعاماً، وقد ورث كرماً وقطعة أرض من والده، فكان يزرعها من البذر الحلال ويأكل منها، تفقه على الإمام أبي إسحاق إبراهيم ابن أحمد المروزي (ت362هـ)، سمع منه الحديث ومن والده أبي الفضل، والقاضي أبي سعيد محمد بن علي بن محمد الدهان، وغيرهم (السمعاني، 1975)¹⁹،

ومن العلماء الذين مارسوا نشاط الزراعة أبو سهل النعمان بن محمد بن النعمان بن أبي العباس أحمد بن منصور الطحان الأكار الباجوخستي الصديقي (ت548هـ) كان يعمل بيده الحراثة (السمعاني، 1975)²⁰.

ولعل الملاحظ هنا إغفال المصادر التاريخية لذكر العلماء الذين مارسوا النشاط الزراعي في العراق وما جاورها خلال العصر السلجوقي-بإستثناء أربعة من العلماء الذين ذكرناهم آنفاً- ونحسبه راجعاً لأسباب كثيرة؛ منها انصراف العلماء إلى النشاطين الصناعي والتجاري، واشتغالهم في خطط الدولة، وإقامتهم في الحواضر وانتشار الإقطاع العسكري الذي جعل الأراضي الزراعية في أيدي الجند، بالإضافة إلى التكاليف الباهظة التي بتطلبها النشاط الزراعي، مما يفسر قلة العلماء الذين مارسوا الزراعة في العصر السلجوقي.

2. ممارسة العلماء النشاط الصناعي:

ازدهرت الصناعة بوتيرة عالية في العصر السلجوقي، وذلك لاشتغال أراضي الدولة السلجوقية على كميات معتبرة من المعادن والمواد الأولية كالخشب والزجاج وهذا ما أسهم في رواج الصناعة وازدهارها وازدهار التجارة في موادها الأولية أو منتجاتها، كما ازدهر فقههما لما أفرزاه من مستجدات فقهية، دفعت العلماء إلى البحث والتأصيل في باب الصنائع والتجارات.

فنجذ الغزالي يتحدث عن الصناعة والتجارة، مقدماً نصائح للتاجر في قوله: "أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بِفَرْضٍ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ فَإِنَّ الصَّنَاعَاتِ وَالتَّجَارَاتِ لَوْ تَرَكْتُ بَطَلَتِ الْمَعَايِشُ وَهَلَكَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ فَانْتَظَامُ أَمْرِ الْكُلِّ بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا"²¹، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة (الأمير، 2012)²²؛ أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف وَمِنْ الصَّنَاعَاتِ مَا هِيَ مُهِمَّةٌ وَمِنْهَا مَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا لِرَجُوعِهَا إِلَى طَلَبِ النِّعَمِ وَالْزُّيْنِ فِي الدُّنْيَا فَلْيَسْتَغْلِ بِصِنَاعَةٍ مُهِمَّةٍ لِيَكُونَ فِي قِيَامِهِ بِهَا كَافِيًا عَنِ الْمُسْلِمِينَ مُهِمًّا فِي الدِّينِ (الغزالي، د، ت)²³، ومن خلال كلام الغزالي يتضح بأن الصناعة مهمة في حياة المسلمين لما لها من أهمية في قيام مصالحهم حتى وضعها في مرتبة فروض الكفاية إذ لا بد من عدم إهمالها.

كما اختلف العلماء في فقه تعلم الصنائع التي هي أصل سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة والفلاحة ونحوهما وفي أصل فعلها، فالجويني والغزالي لم يريا ذلك فرض كفاية، ورآه الكيا الهراسي (504هـ) فرض كفاية (الغزالي، د، ت)²⁴. ولم يكتف العلماء في الاجتهاد في تفصيل فقه الصناعة والتجارة بل أقبلوا على ممارسة بعض الصنائع كما ترويه المصادر التاريخية،

فهذا الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ أبو عبد الله الخياط (ت 537هـ) كان يأكل من كد يده من الخياطة (الجوزي، 1992)²⁵، والشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري البيهقي إمام جامع نيسابور (ت 536هـ) كان ناسخا وإماما فاضلا، عارف بالمذهب، مفت مصيب تفقه على الإمام أبي المعالي الجويني (ت 478هـ)، وعلق المذهب عليه، وبرع فيه، وكان سريع القلم، نسخ بخطه المذهب الكبير للجويني أكثر من عشرين مرة، وكان يكتبه ويبيعه (السمعاني، 1985)²⁶.

وهذا الشيخ أبو محمد عبد السيد بن أبي بكر بن أبي الفضل بن ينال (ت 555هـ) فقد كان بناءً مهندسا عالما في صناعته، صنع الطاق الكبير الذي عمل بجامع هراة (السمعاني، 1985)²⁷، كما كان الشيخ أبو بكر علي بن عمر بن محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم الفرغولي الجرجاني (ت 548هـ) بناءً أيضا قيم بصناعة البناء (السمعاني، 1962)²⁸، وممن نسب إلى الغرادين (من يعمل الخص وهو الحائط من القصب على الشطوط والسطوح) أبو بكر لبید بن الحسن بن عمر الغراد (ت 549هـ) (السمعاني، 1962)²⁹.

وكان أبو علي الحسن بن ناصر الكاغذي ينسب إليه الكاغذ الحسني، الذي لم يلحقه من سبقه في جودة الصناعة ونقاء الآلة وبياضها (السمعاني، 1962)³⁰. وأبو محمد بن أحمد بن عبد الله الكبرى القباني الوزان (ت 532هـ) كان يزن بالقبان (السمعاني، 1962)³¹ (هو الذي يوزن به الأشياء).

والشيخ أبو غالب محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الماوردي البصري (ت 525هـ) كان وراقا وناسخا (السمعاني، 1962) (الجوزي، 1992) (الذهبي، 2006)³². وكذلك أبو طاهر أحمد بن علي بن عمر بن علي بن سلمان الدقاق من أهل بغداد (ت 470هـ) كان ناسخا (السمعاني، 1962)³³.

وكان أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد بن الطلاية البغدادي الحنبلي (ت 548هـ) وراقا عرف بالزهد وكثرة العبادة، تفرغ للعمل بوراقة الحديث وهو في مسجده (الحنبلي، 1986) (سعيد، 2000)³⁴. ومن العلماء الذين اشتغلوا بالوراقة أيضا، أبو العباس أحمد بن الفرخ بن راشد بن محمد المدني البغدادي الحنبلي (ت 551هـ) (الحنبلي، 1986)³⁵، وكذلك أبو المواهب أحمد بن محمد بن عبد الملك بن ملوك البغدادي (ت 525هـ) الذي كان من شيوخ الحديث واتخذ من الوراقة صناعة ومعاشا (الذهبي، 2006)³⁶.

وكذلك أبو الفضل عبد المؤمن بن عبد الغالب بن محمد بن طاهر بن خليفة بن محمد بن حمدان الشيباني البغدادي الوراق (ت 591هـ) (الحنبلي، 1986) (الذهبي، 2005)³⁷، وعبد الملك بن الحسين الوراق ذكر أبو طاهر أحمد بن الحسن الكرخي في تاريخه - ونقلته من خطه - أنه مات في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة، ودفن من يومه بباب حرب (البغدادي، 1417هـ)³⁸.

وعبد الواحد بن رضوان بن عبد الواحد بن شنيف بن أبي الفرخ الوراق (ت 631هـ)، كان من أهل دار القز ببغداد وقال عنه ابن النجار: كتبت عنه، وكان حسن الأخلاق لا بأس به (البغدادي، 1417)³⁹.

أما ابن غريبة الحنبلي الوراق (ت578هـ) وهو أبو الحسن علي بن أبي المعالي المبارك، وقيل أحمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم بن الأحمد بن الوراق الدارقزي المحوّلي الفقيه الحنبلي، المعروف بابن غريبة سمع الكثير من أبي القاسم بن الحصين وغيره ببغداد وغيرها من البلاد، وتفقه في المذهب على ابن سيف وغيره، وقرأ الفرائض على القاضي أبي بكر، وكان ثقة صحيح السماع، ذا عقل وتجربة، ولّاه الوزير ابن هبيرة (ت562هـ) رفع المظالم، وانقطع في آخر عمره بالمحوّل إلى أن مات، وأفلح قبل موته بشهور (الحنبلي ا.، 1986)⁴⁰.

كما امتنن الوراقا أما محمد بن احمد بن عبد الباقي بن منصور بن ابراهيم الدقاق الحافظ العالم، كنيته أبو بكر، ويعرف بابن الخاضبة الوراق (ت489هـ)، و كان يعيل بها أهله ويشير إلى ذلك في قوله: لما كانت سنة الغرق وقعت داري على قماش وكتبي، وكان لي عائلة الوالدة والزوجة والبنات، فكنت أوزق للناس وأنفق على الأهل، فأعرف أنني كتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات قال أبو سعد: وكان حافظا فهما درس القرآن وتفقه زمانا وقرأ الحديث فأكثر، وكان مفيد بغداد والمشار إليه في القراءة الصحيحة والنقل المستقيم، وكان مع ذلك صالحا ورعا دينيا خيرا، سمع بمكة والشام والعراق، وأكثر ببغداد عن أبي بكر أحمد بن علي الخطيب وأصحاب أبي طاهر المخلص وأبي حفص الكتاني وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم، وأدركته المنية قبل وقت الرواية، ودفن بمقبرة الأجمة المتصلة بباب أبرز سمع منه جماعة من مشايخنا، وسمعوا بقراءته وإفادته الكثير، ورأيتهم مجمعين على الثناء عليه والمدح له (العسقلاني، 1971) (الحموي، 1993)⁴¹.

وأبو عبد الله الحسين بن محمد الكتبي الهروي (ت496هـ) الإمام الحافظ، مُحَدِّثُ هَرَاة، الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُتُبِيِّ الْهَرَوِيِّ الْمُؤَرِّخُ أَتَى عَلَيْهِ السَّمْعَانِيُّ، وَقَالَ: لَهُ عِنَايَةٌ تَامَّةٌ بِالتَّوَارِيخِ، وَيُلَقَّبُ بِحَاكِمِ كُرَّاسَةِ، وَقَدْ مَارَسَ الْوَرَاةَ كِبَانِعَ الْكُتُبِ (الذهبي، 2006)⁴².

وكذلك القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي البشكاني هذه النسبة الى بشكان وهي قرية من قرى هراة (ت518هـ) كان يكتسب من الوراقا اتصل بخدمة دار الخلافة وأقام بها مدة من الزمان حتى عرف بالكفاية، ثم صار رسولا من تلك الحضرة الى ملوك الأطراف بخراسان والشام ومصر وأعد أنواع الأهب والخدم والحشم وتولى قضاء الممالك وخص بطومار من الألقاب، ولم يزل في الذهاب والإياب والسفارة بين السلاطين بالركض بالسير الحثيث الى الأفاق الى ان قتل شهيدا بهمدان (السمعاني، 1962)⁴³.

أما أبو الحسن المروزي؛ وهو أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن عبد الله الصباغ المروزي من أهل مرو (ت525هـ) كان صناع اليد موفقا في عمارة المساجد (السمعاني، 1975)⁴⁴.

وكان أبو سعيد محمد بن ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن أحمد بن أيوب الفزي العدني توفي في سنة نيف وثلاثين وخمسمائة للهجرة مشغولا بالكسب، وينسخ الأبراد النيسابورية وهو نوع من الثياب، وبها سكة يقال لها «سكة عدني كوبان» بها من يقصر الأبراد ويغسلها ويدقها، والنسبة إليها «عدني» بسكون الدال، وقد يقال بفتح الدال المهملة التي يقال لها عدني (السمعاني، 1962)⁴⁵.

كما أن أبا بكر محمد بن احمد بن الحسين الجيخني المقرئ وهو الخلال المعلم الجيخني الخلال (ت539هـ) نسبة إلى جيخن، وهي قرية من قرى مرو على أربعة فراسخ، منها وهو شيخ صالح سديد السيرة من أهل القرآن كثير التلاوة، كان يعلم الصبيان برأس سكة كارنكلي ويتكسب بعمل الخل (الحموي، 1995)⁴⁶.

أما عبد الرحمن بن محمد بن علي الحلواني (ت 546هـ) متفقاً فكان هو الآخر يتجر في الخل ولا يقبل من أحد شيئاً، وقد برع في الفقه وأصوله وصنف التصانيف، منها كتاب "التبصرة" في الفقه وكتاب "الهداية" في أصول الفقه (الحنبلي، 2005، 47).

وقد كان أبو بكر مسعود بن أحمد بن نصر بن أحمد عثمان بن أحمد ابن محمد بن خشان بن باذان الخشنامي العتابي من أهل نيسابور (ت 549هـ) مشغلاً بالعلم في أيام شبابه وعقد له مجلس الوعظ بحضور الأئمة ثم اختل حاله في آخر عمره حتى اشتغل بالاكْتَسَاب ونسج الثياب العتابية (السمعاني، 1975، 48).

ومن العلماء من لم يكن من أصحاب المناصب، ولا يجد ما يعيش منه فاشتغل بنسخ الكتب بالأجرة ليستعين بها على معيشته، مثل أبي النرسي (ت 510هـ) والملقب بأبي الكوفي لجودة قراءته، كان يقدم كل سنة من الكوفة منذ سنة 498هـ في رجب فيبقى ببغداد إلى ما بعد الفطر ثم يرجع، وكان يشتغل بنسخ الكتب بالأجرة ليستعين بها على العيال (الذهبي، 2006، 49).

كما كان العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي المتوفى عام (ت 513هـ) شيخ الحنابلة كان إماماً بارزاً في كثير من العلوم مكباً على الاشتغال والتصنيف، حفظ القرآن وقرأ القراءات (الحنبلي، 1986، 50)، درس الأدب والنحو ودرس الفرائض والفقه والأصول على عدد من مشايخ العصر، كان شيخه في المناظرة أبي إسحاق الشيرازي⁵¹، عانى من الفقر إلى درجة اشتغاله بالنسخ بالأجرة، وقد قال ابن عقيل عن نفسه: "وعانيت من الفقر والنسخ بالأجرة مع عفة وتقى، ولا أراحم فقيماً في حلقة ولا تطلب نفسي مرتبة من رتب أهل العلم القاطعة لي عن الفائدة" (الحنبلي، 2005، 52)، وهو مؤلف كتاب "الفنون" الذي يزيد على أربعمئة مجلد وجمع فيه فوائد كثيرة في التفسير والفقه، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والمناظرات (الحنبلي، 1986، 53).

وكان أبو النجيب السهروردي (ت 563هـ) الفقيه الشافعي قدم بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية على أسعد الميمني وسمع الحديث، وليّ تدريس النظامية ثم تركها، بقي عدة سنين يستقي بالقربة على ظهره بالأجرة (السبكي، 1413، 54)، كان يقول: "كنت أبقى اليوم واليومين لا استطعم بزاز، وكنت أنزل إلى دجلة وأتقلب في الماء حتى يسكن جوعي، حتى دعتني الحاجة إلى أن اتخذت قربة وكنت استقي بها الماء لأقوام، فلما تعذر ذلك في الشتاء خرجت إلى بعض الأسواق فوجدت رجلاً بين يديه طبرزين وعنده جماعة يدقون فقلت له: هل لك أن تستأجرنني فقال: أرني يديك فأريته فقال: هذه يد لا تصلح إلا للعلم، ثم ناولني قرطاساً فيه ذهب فقلت: ما أخذ إلا أجرة عملي، وكان رجلاً يقظاً فقال: اصعد، وقال لغلامه: ناوله تلك المدقة فناولني فدققت معهم فلما عملت ساعة قال: تعال فجئت إليه فناولني الذهب وقال: هذا أجرتك فأخذته وانصرفت ثم وقع في قلبي الاشتغال فاشتغلت (السبكي، 1413هـ)"⁵⁵، ووعظ أبو النجيب أصحابه بخبره على دجلة بحضرة الرجل والرجلين إلى أن اشتهر اسمه وصار له القبول عند الملوك والولاة وبني تلك الخربة رباطاً وبني إلى جانبها مدرسة ثم ولي التدريس بالنظامية (الدلي، 1322هـ)⁵⁶.

وقد مارس أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) النسخ كعمل وكسب يرتزق منه (عاشور، 2010، 57)، وكان أبو العباس أحمد بن أبي غالب المعروف بابن الطلّاية (ت 548هـ) وراقاً (الحنبلي، 2005، 58)، وكذلك الحافظ الإمام أبو غالب شجاع بن فارس بن الحسين بن غريب الذهلي (ت 507هـ)، الذي بالرغم من سعة علمه بالحديث فقد كان وراقاً مختصاً بوراقة الحديث والتفاسير (سعيد، 2000، 59)، قال عنه أبو سعد السمعاني: "نسخ بخطه كثيراً من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه

أحد من الوراقين، قال لي عبد الوهاب الأنماطي: دخلت يوماً فقال لي: توبتي، فقلت: من أي شيء؟ قال: كتبت شعر بن الحجاج بخطي سبع مرات (الذهبي، 1998) ⁶⁰.

والملاحظ في باب ممارسة العلماء للصناعة، أن الكثير منهم مارس مهنة النسخ كمصدر رزق وعمل وكسب فضلاً عن كونهم علماء، لإدراكهم أهمية الكسب بكّد اليمين و اعتزازهم بأعمالهم وصنائعهم، وحرصهم على تأمين مصدر رزق وعمل يتكسبون منه لينفقوا على أسرهم وليحافظوا على كرامتهم وعلمهم (عاشور، 2010) ⁶¹. ومن خلال وقوفنا على ممارسة العلماء للنشاط الصناعي يمكننا تقدير مدى اهتمام العلماء في العصر السلجوقي بالعمل والكسب؛ فرغبوا فيه ورأوا في ذلك أنه واجب يجب القيام به حتى يتمكن المسلم من تلبية حاجياته ويستعين به على القيام بواجباته الدينية، فجمعوا بين الترويج والحث تارة، والممارسة و النمذجة بممارستهم مختلف الأعمال بأنفسهم تارة أخرى من أجل الاستغناء عما في أيدي الناس، فمارسوا حرفاً ومهنًا متنوعة وكانوا في مقدمة شرائح المجتمع الإسلامي زمن السلاجقة للمشاركة في مختلف الأنشطة الاقتصادية.

3. ممارسة العلماء النشاط التجاري :

يعتبر الماوردي التجارة فرعاً لمادتي الزرع والنتاج (الماوردي، 1986) ⁶²، حيث قسم النشاط التجاري إلى قسمين؛ فالقسم الأول هو ما استقر في الحضر دون تنقل أو سفر و القسم الثاني فهو الضرب في الأرض سفراً وتجارة، أما القسم الأول فأعتبره احتكاراً ولم يرغب فيه بل ذمه في قوله: "وهذا تربص واحتكار، وقد رغب عنه أولوا الأقدار، وزهد فيه ذوو الأخطار، أما القسم الثاني فهو من ضرب صاحبه في الأرض وسافر متاجراً بماله بين الأمصار فقد مدحه في قوله: فهذا أليق بأهل المروءة، وأعم جدوى ومنفعة، غير أنه أكثر خطراً، وأعظم غرراً" (الماوردي، 1986) ⁶³.

أما الغزالي فبين الضرورة التي أملت على المجتمع ممارسة النشاط التجاري في قوله: "ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة إلا أن النجار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعلق الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات طمعاً في الربح وكذلك في جميع الأمتعة والأموال (الغزالي، د، ت) ⁶⁴.

وقد اعتبر الغزالي التجارة من أفضل وجوه الكسب حيث تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال... ويشير إلى أن التجارة تعففاً عن السؤال كما دعا التجار إلى تعلم علم التجارة ليميز لهم المباح من المحظور (الغزالي، د، ت) ⁶⁵، ويرى بأن التجارة فرض من فروض الكفايات حيث يقول: "أَنْ يُقْصِدَ الْقِيَامَ فِي صَنْعَتِهِ أَوْ تِجَارَتِهِ بِفَرْضٍ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ فَإِنَّ الصِّنَاعَاتِ وَالتِّجَارَاتِ لَوْ تَرَكْتُ بَطَلَتْ الْمُعَايِشُ وَهَلَكَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ" (الغزالي، د، ت) ⁶⁶.

وعلى خطى الماوردي والغزالي رفع كثير من العلماء من مكانة التجارة واعتبروها أفضل أنواع الكسب وأجلها، مشيراً بعضهم إلى أنها أكثر مكاسب الصحابة، ولأن المنفعة بها أعم والحاجة إليها أكثر (الجوزي، 2001) ⁶⁷، وأشار السرخسي إلى أفضلية التجارة بقوله: ثم اختلف مشايخنا رحمهم الله في التجارة والزراعة فقال بعضهم أفضل لقوله تعالى: وَءَاخِرُونَ

يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْمَزْمَلِ آيَةِ (20) والمراد بالضرب التجارة... (السرخسي، 1993) ⁶⁸.

لقد فضل العلماء التجارة على سائر الأنشطة الاقتصادية فكانوا يرونها اشرف المهن وأعلاها قدرا، ولذلك كانوا يفضلون أموالهم من التجارة على سائر أموالهم، لذلك اهتم علماء العصر السلجوقي بالتجارة وعمل معظمهم بها (سيف، 2004)⁶⁹، وسنورد هنا أمثلة عن علماء العصر السلجوقي الذين مارسوا التجارة مهنة لهم، ومنهم:

أبو منصور محمد بن أبي الربيع سليمان بن أحمد بن محمد السرقسطي الأدي، فقد كان يبيع الأدم ببغداد عند باب النوبي (ولد سنة 466هـ)⁷⁰.

وأبو الحسن عبد الواسع بن محمد بن الحسن الفارسي الجرجاني (ت 423هـ) كان من رؤساء التجار وثقاتهم وُصف الفارسي بأنه جليل ثقة معتمد سمع الكثير (الفارسي، 1441هـ)⁷¹.

و كذلك أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن علي الطوسي (ت 478هـ) نزيل نيسابور سديد صالح مشهور كان محبا للحديث وأهله، اشتغل بالكتب والتجارة وكان ينفق ما يكسبه على أصحاب الحديث (الفارسي، 1441هـ)⁷².

ويعتبر أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمد الرئيس (ت 489هـ) صدر التجار في وقته، أيسر أهل عصره ثروة ونعمة وتجارة وبضاعة ونقدا (الفارسي، 1441هـ)⁷³.

أما أبو علي حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي (ت 463هـ) فجمع بين الدهقنة والتجارة في شبابه، فساد أهل ناحيته بالثروة والمروءة، ثم أعرض عن الدنيا اشتغالا بالتقوى والورع، وسمع الحديث من جماعة، وأخذ في بناء المساجد، والرباطات، والقناطر، وبني الجامع ببلده مرو الروذ (الحموي، 1995)⁷⁴.

وكان أبو القاسم المحمودي وهو أبو القاسم فضل الله بن أبي نصر أحمد بن أبي سعيد محمد العطار المحمودي شيخا سديدا مستورا مشغلا بالكسب (السمعاني، 1975)⁷⁵.

وكذلك، أبو الحسن أحمد بن محمد الضبي المحامي العطار (ت 514هـ) يبيع العطر (الجوزي، 1992)⁷⁶، وكذلك أبو المظفر محمد بن الحسن بن أحمد الشهرزوري (ت 550هـ) روى الحديث، وكانت له معرفة حسنة بعلم الفرائض والحساب انفرد بها، وكان ثقة من أهل الدين والخير، وكان يبيع العطر في دكان عند مسجد شيخنا أبي محمد المقرئ، ويقرأ عليه هنالك، ثم سافر إلى بلاد الموصل لدين ارتكبه فبقي بها مدة ثم رجع عنها إلى بعض ثغور أذربيجان وتوفي بمدينة خلاط (الجوزي، 1992)⁷⁷.

وأبو حفص خمارتاش بن عبد الله الكاغدي الرومي (ت 531هـ) كان له دكان برأس المربعة بنيسابور يبيع فيه الكاغد ويجتمع في دكانه الفضلاء (السمعاني، 1996)⁷⁸.

كما كان أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن موسى المصري الخمرقي (ت 543هـ) من أهل بنج ديه من المشهورين بالفضل والتاريخ ومعرفته، ذا رأي وحزم وعقل، وقد تعلم الحساب، وعرف منه شيئا كان دهقانا (السمعاني، 1996)⁷⁹.

وأبو علي محمد بن أحمد ابن أبي علي الطوسي المعروف بالفقيه البيّع من أهل طوس (ت 539هـ) سكن نيسابور، وصار من وجوه البلد بها، وفوض إليه عمل البيع، وكان من المشهورين بالمال وكثرة العقار، والدور، والخانات، ثم صودر على مبلغ خطير، صفرت يده ورد مرو وتوفي بها فجأة وحمل إلى نيسابور، فدفن بها (السمعاني، 1996)⁸⁰.

وأبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن محمد التاجر المغازلي المعروف بالصائغ من أهل أصبهان (ت 544هـ) كان يكسب من التجارة ويسافر إلى خراسان للتجارة أيضا (السمعاني، 1996)⁸¹.

وكان أبو الفضل محمد بن علي بن محمد بن أحمد الهراس الكاخي المروزي (ت 532هـ) من أولاد العلماء كان يتجر إلى غزنة (الحموي، 1995)⁸²، ويسافر إليها وتوفي بخوارزم، ودفن بمقبرة الغرباء بباب خراسان (السمعاني، 1996)⁸³. أما أبو البركات عبد الصمد بن عبد الله ابن أبي الحسن ابن أبي سهل العراقي الجصاص (ت 557هـ) من أهل نيسابور، كان فقيها صالحا، عفيفا، جلدا، تاجرا، صدوقا، سمع بنفسه الحديث بنيسابور ومرو، وأمعن في طلب الحديث (السمعاني، 1975)⁸⁴.

وأيضا أبو بكر الشيروي وهو أبو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسين بن علي بن شيرويه بن علي بن الحسن الشيروي الجنازدي (ت 510هـ) شيخ معمر، سديد، نبيل، صالح، ثقة، عفيف، من بيت الصلاح والحديث، والتجارة، والعفاف، والسداد، وكان من جملة ثقات التجار، وأمناء الرجال، زجى عمره فيه، وكان يخرج ويحمل معه بضائع الناس، ويحسن القيام بها لأمانته، ويرزق عليها الأرباح إلى أن عجز عن الخروج إلى السفر، فلزم بيته واشتغل برواية الحديث وخرج له فوائد وبورك له فيه حتى روى الحديث، وحدث نحو أربعين سنة، وهو من جملة ثقات التجار (السمعاني، 1975)⁸⁵.

وكذلك أبو يعلى الجزاراني (ت 542هـ) أبو يعلى عبد الجامع بن اسماعيل ابن أبي سعيد الجزاراني الذي كان دلالة في العطر من أهل نيسابور (السمعاني، 1975)⁸⁶.

و يضاف إليهم أبو عبد الله فادشاه ابن أبي منصور ابن أبي طاهر الأصهباني الذي ورد خراسان تاجرا، كما كان أبو محمد كامل بن ختلغ اللتوري الأصهباني ورد خراسان تاجرا، وكان شيخا تاجرا، ساكنا، سديد السيرة، خدم العلماء والأئمة والأكابر ذكر أنه سمع كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، من أبي علي الحسن بن أحمد بن الحداد المقرئ ومحل الصدق (السمعاني، 1975)⁸⁷.

وكان أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن اسماعيل البيع الخياط من أهل مرو دلالة الصيارفة، وكان شيخا حسن الشبهة، له سمت وسكون، وكنت أراه قبل خروجي إلى الرحلة يكثر الجلوس في مدرستنا العميدية، ويأوي إليها، فسألته يوما، هل سمعت شيئا من الحديث؟ فقال: بلى، كنت في كتاب الأديب كامكار بن عبد الرزاق، ففتشت أجزاء الأديب، فوجدت في جزء سماعه، فسمعت منه، وكتبت عنه، ولم يسمع منه أحد إلا معي، توفي سنة نيف وثلاثين وخمسائة، دلالة الصيارفة⁸⁸.

و الملاحظ في باب ممارسة العلماء للتجارة كثرتهم مقارنة بمن مارس الزراعة والصناعة،

ثالثا: الأثر الاجتماعي والاقتصادي لممارسة العلماء المهنة والحرف

1. الأثر الاجتماعي:

استقلالية الرأي والفتوى، الكرامة والاعتماد على النفس.

تشجيع الناس على الإنتاج والانخراط في العمل.

تقديم العمل كوسيلة لعبادة الله وخدمة المجتمع.

قطع الطريق أمام كثير من الآفات الاجتماعية والصوصية والتسول والمعاملات المشبوهة.

تبادل المنافع وقضاء حوائج الناس وهو أمر ضروري لاستمرار المجتمع وتطوره .

ساهم العلماء بما يحصلونهم من عملهم في دعم المحتاجين والإنفاق عليهم وصلة لأقاربهم العلماء وطلبة العلم فقد كان ابن المبارك يقول: "لولا خمس ما اتجرت" (البغدادي، 2002)⁸⁹ وعدد خمسة من أقرانه، كما كان أبو حنيفة يتعهد تلميذه أبا يوسف بالدرهم (الذهبي، 1985)⁹⁰.

انتقاد مذهب الصوفية في ترك الكسب في الدنيا رغبة في الآخرة فتلزمهم الحاجة بعد ذلك إلى التفریط في دينهم فيتسولون المال من الأغنياء والأمراء فتضيع منزلتهم وهيبتهم في نفوس الناس، وهذا ما أشار إليه أحمد بن حنبل لما سأله أحد الصوفية عما تلين به القلوب فقال: بأكل الحلال (الجوزي، 1409هـ)⁹¹.

2. الأثر الاقتصادي:

دعم الاقتصاد المحلي وبناء الطبقة المتعلمة المنتجة.

لقد عمل العلماء على حث السلاطين والخلفاء والنصح لهم من اجل محاربة الفساد الاقتصادي، فأصلح نظام الملك (ت485هـ) حال التجار بإبطال الضرائب والمكوس مما أسهم في انخفاض الأسعار ورخاء المعيشة (الأثير، د، ت)⁹²، كما قد نصح أبو حامد الغزالي السلطان ملكشاه وحثه على رفع الضرائب التي أضرت بمعاش الناس (الندوي، 2007)⁹³.

ولاستقرار الدولة وتطورها اقترح العلماء الحياة الاقتصادية جعلهم على علم بالمعاملات المالية بين الناس وما يشوبها من مخالفات فقاموا بجهود نظرية وعلمية لمواجهة هذه المخالفات التي تضر بالمجتمع واقتصاد الدولة، كما أن تزويد الدولة بطائفة من العلماء في مجال الكسب والاقتصاد ساهم في مده بطاقات منتجة وكفاءات أمينة على الدولة واقتصادها.

VII. نتائج الدراسة

وتلخيصا لنتائج الدراسة، يمكن القول:

- لقد استطاع العلماء بفضل مكانتهم في المجتمع وعند الحكام أن يؤثروا بشكل كبير في مجتمعهم وحتى على السلطة من الحركة العلمية النشطة والظروف السياسية السائدة في هذه الفترة التي جعلت من الحكام يلتفون حولهم ويرجعون إليهم في كثير من المواقف، لاستغنائهم عن عطايا السلطة والأمراء والملوك، فملكوا أمرهم وآراءهم.
- ساهم العلماء في العصر السلجوقي في ازدهار الحياة العلمية والاقتصادية والاجتماعية من خلال نشاطهم.
- إسهام العلماء في الحث على العمل وقمع الغش من خلال تأليف الكتب ووضع أسس وقواعد فقهية وعلمية وعملية لممارسة أي علم أو نشاط بناء على علم ودراية وتجربة.

VIII. خاتمة:

مما سبق يتضح أن العلماء قد لعبوا دورا مهما في نواحي الحياة المختلفة، فلم يقتصر دورهم على الدعوة والتعليم ونشر العلم، بل تعدى ذلك الى الجانب الاقتصادي من خلال مساهمتهم العملية في ذلك فدعوا إلى العمل واذموا التكاسل وأهله ورأوا أن العمل يصل إلى مرتبة فروض العين، وساهموا في النشاطات الاقتصادية للدولة كل حسب تخصصه لئلا يكونوا عالة على غيرهم وتتحرر آراؤهم من أي تأثير أو ضغط من أي جهة كانت، فمارس الكثير منهم عملا يتكسبون منه لينفقوا على أسرهم وليحافظوا على كرامتهم وعلمهم، وحتى لا يتقيدوا أمام بعض انحرافات الدولة والمجتمع، لأن العالم إذا اعتمد في معاشه على ما يعطى إليه من السلطان أو من الناس سيفقد القدرة على محاسبتهم وتقويمهم، فضلا عن

إمكانية استخدامه لتمرير بعض أغراضهم، وهذا ما أشار إليه ابن الجوزي عن حال من ترك العمل والكسب: " فإذا أخرج ما في يده، وتعتل عن مكاسبه، عاد يعلق طمعه بصلة الإخوان، أو يحسن عنده صحبة السلطان؛ لأنه لا يقوى على طريق الزهد والترك إلا أياماً، ثم يعود الطبع، فيتقاضى مطلوباته، فيقع في أقبح مما فر منه، ويبدل أول السلع في التحصيل دينه وعرضه، ويصير متمنداً به (الجوزي، 2004)⁹⁴، أي هان عليه دينه وعرضه حتى أصبح كالمندبل الذي يبتذل فتمسح به الأقدار، ويقف في مقام اليد السفلى.

الإحالات والمراجع:

- ¹ ابن المبارك: الزهد والرقائق لابن المبارك، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ج 2، ص 30.
- ² المغربي: البدر التمام شرح بلوغ المرام، تحقيق علي بن عبد الله الزين، دار هجر، ط 2003، ج 1، 1822، 5.
- ³ الذهبي: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 2006، ج 15، ص 400، وأنظر وفيات الأعيان: المصدر السابق، ج 3، ص 227-228.
- ⁴ السلاجقة: قبائل تركية عرفت باسم الغز انسابوا من سهول تركستان سنة 345 هـ وسكنوا أول الأمر بلاد ما وراء النهر اعتنقوا الإسلام على المذهب الحنفي، ينتسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق الذي وحد قبائلهم، أنظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1997، ج 8، ص ص 5-14.
- ⁵ ابن الجوزي: صيد الخاطر، دار القلم، دمشق، ط 1، 2004، ص 487.
- ⁶ ابن الجوزي: صيد الخاطر، المصدر نفسه، ص 498.
- ⁷ ابن الجوزي: صيد الخاطر: المصدر نفسه، ص 76.
- ⁸ الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص 64.
- ⁹ الماوردي: أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د، ط)، 1986، ص 210.
- ¹⁰ الآية 267 من سورة البقرة.
- ¹¹ الشيباني محمد بن الحسن: كتاب الكسب، تحقيق سهيل زكار، نشر عبد الهادي حرصوني، دمشق، ط 1، 1400 هـ، ص 46.
- ¹² الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، 2007، ص 268.
- ¹³ عصام بن عباس محمد علي نقلي: معالم الفكر الاقتصادي في القرن 5 هـ، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2001، ص 321.
- ¹⁴ عصام بن عباس محمد علي نقلي: نفسه، ص 321.
- ¹⁵ عصام بن عباس محمد علي نقلي: نفسه، ص 324.
- ¹⁶ السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1996 م، ص 963.
- ¹⁷ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، سوريا، ط 1، 1986، ج 5، ص 348.
- ¹⁸ قرية ماهيان: بكسر الهاء، وياء، وآخره نون قرية بينها وبين مرو نحو فرسخين، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط 2، دار صادر، بيروت، 1995، ج 5، ص 50.
- ¹⁹ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، تحقيق ميرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الاوقاف، بغداد، ط 1، 1975، ج 1، ص 405.
- ²⁰ السمعاني: التحبير المصدر، نفسه، ج 2، ص 348.

- ²¹ الغزالي: إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ج 2، ص 83.
- ²² لا أصل له. ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند، فلم يوفقوا، حتى قال السيوطي في "الجامع الصغير" رقم (288). "ولعله خُرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا." وتعبه المحدث الألباني في "الضعيفة" (1/ 141 رقم 57): "وهذا بعيد عندي، إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه - صلى الله عليه وسلم -، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده." ونقل المناوي في "فيض القدير" (1/ 212) عن السبكي أنه قال: "وليس بمعروف عند المحدثين، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف، ولا موضوع، ابن الأثير: التَّحْبِيرُ لِإِبْصَاحِ مَعَانِي التَّيْسِيرِ، تحقيق محمد صبيحي، مكتبة الرياض، السعودية، ط 2012، ج 1، ص 96.
- ²³ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ج 2، ص 83.
- ²⁴ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، المصدر نفسه، ج 1، ص 16، وأنظر عصام بن عباس محمد علي نقلي: المرجع السابق، ص 89.
- ²⁵ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1992، ج 18، ص 28.
- ²⁶ السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، ص 1034-1035، وأنظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، ط 1985، ج 3، ص 71-72.
- ²⁷ السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر نفسه، ص 1073.
- ²⁸ السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، نفسه، ص 1247.
- ²⁹ السمعاني: الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط 1، 1962، ج 10، ص 23.
- ³⁰ السمعاني: الأنساب، المصدر نفسه، ج 11، ص 24.
- ³¹ السمعاني: الأنساب، المصدر نفسه، ج 10، ص 320.
- ³² السمعاني: الأنساب المصدر السابق، ج 12، ص 61، وأنظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 19، ص 589، وأنظر ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المصدر السابق، ج 17، ص 267.
- ³³ السمعاني: الأنساب، نفس المصدر، ج 13، ص 8-9.
- ³⁴ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 6، ص 241، وأنظر خير الله سعيد: وراقو بغداد في العصر العباسي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإنسانية، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2000، ص 370.
- ³⁵ ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر، ج 6، ص 261 وأنظر خير الله سعيد: المرجع نفسه، ص 371.
- ³⁶ الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 19، ص 586، وأنظر ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 6، ص 122، وأنظر خير الله سعيد: المرجع نفسه، ص 374.
- ³⁷ ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمان بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 2005، المصدر السابق، ج 2، ص 413 وأنظر خير الله سعيد، ص 396.
- ³⁸ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد وذيوله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417هـ، ج 16، ص 20، وأنظر خير الله سعيد: المرجع السابق، ص 475.
- ³⁹ الخطيب البغدادي: المصدر نفسه، ج 16، ص 20، وأنظر خير الله سعيد، ص 397-398.
- ⁴⁰ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 6، ص 434، وأنظر خير الله سعيد، المرجع نفسه، ص 409-410.

- ⁴¹ ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان ، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، لبنان، ط 1971، ج 5، ص 57 وأنظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج 19، ص 109، وأنظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط 1993، م 1، ج 5، ص 2358. خير الله سعيد، المرجع السابق، ص 288.
- ⁴² الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 14، ص 174 .
- ⁴³ السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج 2، ص 249.
- ⁴⁴ السمعاني: التحرير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج 1، ص 600.
- ⁴⁵ السمعاني: الأنساب، المصدر السابق ، ج 9، ص 248-249.
- ⁴⁶ السمعاني: الأنساب، المصدر نفسه، ج 3، ص 452-453، وأنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج 2، ص 197.
- ⁴⁷ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 18، ص 82 وأنظر ابن رجب: المصدر السابق، ج 2، ص 39.
- ⁴⁸ السمعاني: التحرير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج 2، ص 296 .
- ⁴⁹ الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج 19، ص 275.
- ⁵⁰ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 6، ص 58 .
- ⁵¹ ابن الجوزي: المصدر السابق ، ج 17، ص 179-180-181.
- ⁵² ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة، المصدر السابق، ج 1، ص 321.
- ⁵³ ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر، ج 6، ص 58-59.
- ⁵⁴ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1413 هـ، ج 7، ص 174.
- ⁵⁵ السبكي: المصدر، نفسه، ج 7، ص 175.
- ⁵⁶ شهاب الدين الدلحي: الفلاكة والمفلوكون، مطبعة الشعب، مصر ، ط 1، 1322 هـ، ص 98.
- ⁵⁷ ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت ، 1986، ج 12، ص 174 ، وأنظر عبد الفتاح عاشور أبو جهل: جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية، ص 101.
- ⁵⁸ ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 6، ص 241، وأنظر ابن رجب الحنبلي: طبقات الحنابلة، المصدر السابق، ج 2، ص 46.
- ⁵⁹ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 17، ص 134 ، خير الله سعيد: وراقو بغداد في العصر العباسي، ص 450.
- ⁶⁰ الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 1، 1998، ج 4، ص 27 ، وأنظر: ابن الجوزي: نفس المصدر، ج 17، ص 134-135.
- ⁶¹ عبد الفتاح عاشور أبو جهل: المرجع السابق، ص 102.
- ⁶² الماوردي: أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص 213.
- ⁶³ الماوردي: أدب الدنيا والدين، نفس المصدر ، ص 213.
- ⁶⁴ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المصدر السابق، ج 3، ص 227.
- ⁶⁵ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المصدر السابق، ج 2، ص 63-64.
- ⁶⁶ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، المصدر السابق، ج 2، ص 83.
- ⁶⁷ الماوردي: أدب الدنيا والدين، نفس المصدر، ص 213، وأنظر ابن الجوزي: تلييس إبليس ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، ط 1، 2001، ص 165.
- ⁶⁸ السرخسي: المبسوط، دار لمعرفة ، بيروت، (د، ط)، 1993، ج 30، ص 259.

- ⁶⁹ عبد الحكيم عبد الحق سيف: دور العلماء في الحياة السياسية و الاقتصادية في العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه، جامعة المنصورة، مصر، 2004، ص 442.
- ⁷⁰ السمعاني: الأنساب، المصدر السابق، ج 1، ص 141.
- ⁷¹ الفارسي: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، ط 1، 1414 هـ، ص 359 و ص 564.
- ⁷² الفارسي: المصدر نفسه، ص 391.
- ⁷³ الفارسي: المصدر نفسه، ص 422 و ص 548.
- ⁷⁴ ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 16، ص 135، مرو الروذ: وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام، وهي على نهر عظيم فلها سميت بذلك، وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الأخرى، ياقوت الحموي المصدر السابق، ج 5، ص 112.
- ⁷⁵ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج 2، ص 32.
- ⁷⁶ ابن الجوزي: نفس المصدر، ج 17، ص 189.
- ⁷⁷ ابن الجوزي: المصدر نفسه، ج 18، ص 104.
- ⁷⁸ السمعاني: المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، ص 779.
- ⁷⁹ السمعاني: المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، ص 939.
- ⁸⁰ السمعاني: المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر نفسه، ص 1394-1395.
- ⁸¹ السمعاني: المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر نفسه، ص 1507.
- ⁸² غزنة: وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند في طريق فيه خيرات واسعة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج 4، ص 201.
- ⁸³ السمعاني: المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، ص 1543-1544.
- ⁸⁴ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، المصدر نفسه، ج 1، ص 458-459-460.
- ⁸⁵ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، المصدر نفسه، ج 1، ص 466-467-468.
- ⁸⁶ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، المصدر نفسه، ج 1، ص 506.
- ⁸⁷ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، المصدر نفسه، ص 1939.
- ⁸⁸ السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، المصدر نفسه، ص 1607.
- ⁸⁹ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ط 1، 2002، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج 7، ص 196.
- ⁹⁰ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 8، ص 536، ط 3، 1985.
- ⁹¹ ابن الجوزي: مناقب الإمام احمد، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 2، 1409 هـ، دار هجر، ص 270.
- ⁹² ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 358.
- ⁹³ أبو الحسن الندوي: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، دمشق، ط 3، 2007.
- ⁹⁴ ابن الجوزي: صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 35.